الفصل الخامس

محمد عبد الوهاب
و تطور
فن الموسيقى و الطرب

obeikan.com

محمد عبد الوهاب وتطور فن الموسيقى والطرب

عندما يُكتب تاريخ الموسيقى العربية فى العصر الحديث سيقف الموسيقار "محمد أبو عيسى حجر" المعروف بمحمد عبد الوهاب قمة شامخة تطل بألوان من الإبداع ، وتروى تاريخاً لتطور الأغنية العربية مع موهبة فريدة قل أن يجود الزمان بمثلها ، فقد امتلك عبد الوهاب ناصيتى الإبداع الموسيقى والغنائى لفترة غطت القرن العشرين • فلا غرو أنه البلبل الصداح الذى حرك أوتار القلوب بصوته العذب ، وألحانه البديعة ، وأنغامه الجميلة ، والذى استطاع أن يثبت أن الصوت البشرى يعد من أعظم الآلات الموسيقية سحرا • فقد أمتاز عبد الوهاب بخصوبة صوتية فى الأربعينيات والخمسينيات فضلا عن جمال الأداء وحلاوة الصوت التى خلقها الله معه كما تميز بخصوبة لحنية فى الستينيات والسبعينيات[1] حتى دانت له الزعامة فى اللحن لا ينازعه فيها منازع •

ولما كانت دراسة هذه الظاهرة الفنية المميزة لا تكتمل بغير دراسة دقيقة للبيئة التى عاش فيها عبد الوهاب والمؤثرات التى ساعدت على ظهورها فإننا سنحاول مسايرة هذا الاتجاه •

نشأة عبد الوهاب والمؤثرات التى ساعدت على ظهوره :

ولد عبد الوهاب حسب أرجح الأقوال فى ١٨٩٦ بحارة الشعرانى (باب الشعرية) بالقاهرة مفطورا على حب الموسيقى وقد لاقى فى سبيلها صعاباً استطاع أن يتغلب عليها بثباته ومثابرته • وكان لحفظه القرآن الكريم وتجويده ، وأدائه للمدائح النبوية وصعوده على مئذنة الشيخ الشعرانى مؤذنا للصلاة [2] أكبر الأثر فى تكوين صوته الموسيقى وتهيئته تهيئة صالحة للنمو والاستمرار ، وصقل مخارج الحروف •

وقد بدأ عبد الوهاب حياته الفنية أيام الشيخ سلامة حجازى قبيل الحرب العالمية الأولى بتقديم فقرات طرب بين فصول المسرحيات بمسرح عبد الرحمن رشدى مستغلاً

---

(١) محمد شلبى : مع رواد الفكر والفن ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٢ ص ١٨٧ •
(٢) كمال النجمى : الغناء المصرى ص ١١٩ •

فى ذلك صوته العذب ،كما تأثر بطريقة الشيخ سلامة حجازى فى الغناء ، وقلدّ قصائده وموشحاته[١] ، وكان حلمه الذهبى أن تهتف الناس ذات يوم باسم الشيخ محمد عبد الوهاب ، كما كانوا يهتفون باسم الشيخ سلامة[٢] . وبعد وفاة الشيخ سلامة عمل عبد الوهاب منشدا فى فرقة الكورال التى كانت معروفة باسم فرقة على الكسار وعن طريق ذلك عرف كل أوبريتات سيد درويش وتأثر بطريقة تلحينه وتجليات تعبيره كموسيقى موهوب نجح فى تطوير الأغنية ، وظل يلازمه كظله فى غدواته وروحاته يسمع منه ويردد ألحانه . وعندما يعود إلى بيته المتواضع فى باب الشعرية مع الفجر ينقل النوته لتلك الألحان على ضوء مصباح خافت .

عبد الوهاب وسيد درويش :

بعد أن أنشأ سيد درويش فرقته الغنائية الخاصة به إنضم إليه تلميذه محمد عبد الوهاب الذى التقى به لأول مرة فى سيرك دمنهور ، ثم التقيا بعد ذلك فى القاهرة ، وعمل عبد الوهاب مطربا بفرقته لقاء مبلغ خمسة عشر جنيها فى الشهر ، والتقط منه أفكاره التى كانت تميل نحو تطعيم الموسيقى العربية بالغربية وقد تنبأ سيد درويش لعبد الوهاب بمستقبل كبير فى دنيا الطرب بقوله (الولد ده هيشقلب الدنيا بحالها)[٣] وفعلا صدقت فراسته .

وكان عبد الوهاب يعرف قدر أستاذه ويقدر أعماله كل التقدير مؤكدا أنه رفع منار الموسيقى ، وارتقى بالمسرح الغنائى الذى كان يعانى سكرات الموت وقد بلغ انبهار عبد الوهاب بفن سيد درويش أنه عندما استمع إلى نشيد "أنا المصرى كريم العنصرين" شعر برعشة شديدة هزت كيانه وانهمرت الدموع من عينيه واستمر فى البكاء من شدة تأثره بهذا اللحن[٤] .

---

(١) رتيبة الحفنى : محمد عبد الوهاب حياته وفنه ، القاهرة ، مكتبة الأسرة ١٩٩٩ ص ٣٩ .

(٢) كان سلامه حجازى يرتدى زى الفقهاء والشيوخ المعممين والجبة والقفطان فى منظر يتسم بالوقار والاحترام ، وقد أطلقوا عليه فى الإسكندرية لقب الشيخ وهذا اللقب الذى صاحبه بعد ذلك إلى القاهرة ، ولازمه طيلة حياته حتى بعد أن غير زيه ، وبدّل من أسلوب معيشته وطريقة فنه .
محمود الحفنى : الشيخ سلامة حجازى . سبق ذكره ص ٣٣ .

(٣) عصام كامل : الفكر والنغم والثورة فى الأغنية المصرية ص ٤٢ .

(٤) رتيبة الحفنى : مرجع سابق ص ٢٢ .

محمد عبد الوهاب

محمد عبد الوهاب شاباً

محمد عبد الوهاب يستقبل عبد الحليم

وبعد رحيل فنان الشعب سيد درويش فى عام ١٩٢٣ دفع عبد الوهاب طموحه إلى أن يحتل مكانة أستاذه فطلب من المؤلف "يونس القاضى" [١] الذى كان يؤلف لسيد درويش أغانية أن يكتب له بعض الأغانى[٢] كما قدم نفسه للمستمعين موضحا أنه يستظل برايه "سيد درويش" [٣] ثم قام بتجديد بضاعة سيد درويش واختط لنفسه وعلى نحو تدريجى أسلوب غنائى جديد يميل إلى الإمتاع والمؤانسة حتى تربع على عرش الغناء بعد أن اقتبس من الموسيقى الأوربية التى تأثر بها تأثيرا شديدا بلغ حد الاقتباس الحرفى لألحان منها ، كما أصغى جيدا إلى الألحان العربية غناء وتجويدا وبعد أن تعايشت الألحان المختلفة فى وجدانه وتكونت حساسيته الغنائية والموسيقية الجديدة ، استحدث عبد الوهاب أسلوبا متميزاً فى التلحين وطريقة متميزة فى الغناء ، وكان دائما يبحث عن الجديد الذى يدخله على الغناء العربى مما أحدث تحولا فى أسلوبى التلحين والغناء واستمتع الناس بأغنياته خاصة وأنه كان مطربا جميل الصوت وملحنا متميزا وهبه الله أندى الحناجر ، ووضع فى صوته ألين الأوتار وخلق منها أرخم الأصوات ٠

وقد برز اسم عبد الوهاب فى صالة سانتى بحديقة الأزبكية وكان معروفا عند بعض الحاضرين الذين كانوا ينادونه قائلين "يا محمد" ومشهوراً بأدبه الجم ، وبأنغامه التى تدخل القلب دون مواربة أو إلتواء ، كما قام بإحياء حفلات التخرج بالجامعة فى عام ١٩٢٦ ، فغنى لطلاب الطب أغنية من شعر أحمد شوقى عنوانها "خدعوها بقولهم حسناء" ، ثم إقترب من القمة فى عام ١٩٢٨ وهو يشترك مع سلطانة الطرب منيرة المهدية فى أوبريت كليوباتره ومارك أنطونيو ، كما تفرغ لتلحين الأغانى التى وضعها له أحمد شوقى وأحمد رامى وعزت الهجين وغيرهم ٠ مثل "الليل لما خلى" ، و"كلنا نحب القمر" و"خايف أقول اللى فى قلبى" ، و"على غصون البان" ، و"أنا أنطونيو" ، و"يا جارة الوادى" ، وإمتى الزمان" ، و"حب الوطن فرض علىّ" وكانت هذه التسجيلات بمثابة بداية زعامة فنية فرضتها عبقريته الفنية عن جدارة واستحقاق [٤] ٠

---

(١) مؤلف أغان تخصص فى التأليف لسيد درويش ، ويعد أول كاتب للأغنية الشعبية الحديثة ، وهو الذى ألف نشيد بلادى بلادى الذى حقق أكبر شهرة لسيد درويش والذى رددته الجماهير خلال ثورة ١٩١٩ وإلى جانب ذلك كتب لزكريا أحمد "إرخى الستارة" التى غنتها منيرة المهدية ٠

(٢) كتب له أغنية "أهون عليك" ٠

(٣) كمال النجمى : مرجع سابق ص ١٠٦-١٠٧ ٠

(٤) مصطفى الديوانى : قصة حياتى ، القاهرة ، النهضة المصرية ١٩٦٥ ص ٢٧٠-٢٧١ ٠

عبد الوهاب وأمير الشعراء :

أما عن قصة تعرف أمير الشعراء "أحمد شوقى" على عبد الوهاب فترجع إلى أنه بعد أن أوضح له الشيخ "عبد العزيز البشرى" مدى جمال صوته بقوله "أما يا باشا فيه جدع إسمه عبد الوهاب صوته ذى الخص أحب إنك تسمعه • فقال شوقى هاته يوما إلى البيت • فجاء وحضر قليل من أصدقاء شوقى ، وغنى عبد الوهاب ففتن به شوقى وحمله على ملازمته" [١] وبدأ يتردد عليه ويشارك بفنه فى مناسباته العديدة التى كان يقيمها فى منزله • وخلال حفل أقامه شوقى فى "كرمة بن هانىء" بمناسبة شم النسيم غنى عبد الوهاب وبدأ يداعب عوده ، فسرت الأنغام عذبة ثم إنساب صوته يحكى عن العيون النائمة التى لم تعرف الشجن ، والعيون اليقظى التى تشتهى النوم فى "الليل لما خلى" ثم إنسجمت الموسيقى مع الصوت •

الفجر شأشأ وفاض

على سواد الخميلة

لمح كلمح البياض

من العيون الكحيلة

واستخف الطرب بشوقى حتى ألقى طربوشه على ركبته بعد أن أسمعه عبد الوهاب هذا اللحن بتوزيع مختلف[٢] حرك به أوتار قلبه واندمج عبد الوهاب فى شعر أمير الشعراء "أحمد شوقى" وأخذ فى تلحين قصائده وربطت روح الود بينهما لدرجة أن شوقى كان يتدخل فى كل صغيرة وكبيرة فى حياة عبد الوهاب ، وظل يساعده ويمده بأشعاره[٣]، وكان له فى حياته شأن كبير فنقل عنه الكثير من العادات وانفتح على الثقافة وأصبح من قراء الشعر والرواية والمسرحيات يضاف إلى ذلك أن شوقى طلب منه أن يخفف مجهوده فى الغناء وهو صبى لضعف صحته ، كما أخذ بيده وفتح له مدرسة الحياة ، وقدمه لنخبة العصر وللشخصيات العامة فى العديد من المحافل فصحبه معه إلى المنتديات الثقافية يجلس مستمعا وتلميذا يشاهد كل شئ ويتعلم كل شئ ، وكانت لديه القدرة على الالتقاط والتشبع والتعلم ، فتفتحت حواسه لأشياء كان لا يعرفها • وعن

---

(١) جمال الدين الرمادى : عبد العزيز البشرى ، القاهرة ، أعلام العرب ٣٤ ص ٨٩ •
(٢) ماهر فهمى : أحمد شوقى ، القاهرة ، دار المتنبى للنشر ١٩٨٥ ص ١٨٤-١٨٥ •
(٣) رتيبه الحفنى : مرجع سابق ص ٢٩ •

طريق شوقى عرف عبد الوهاب العديد من الشعراء والأدباء السياسيين كما تعرف على الزعيم سعد زغلول ، وتعرف على مصطفى النحاس ومكرم عبيد وأحمد ماهر والنقراشى وكان سعد من المحبين لسماع أغنية عبد الوهاب "جددى يا نفسى حظك[١] ".

وعن طريق شوقى أيضا عرف عبد الوهاب العالم العربى وأوربا فسافر معه إلى الشام وإلى باريس[٢] فى عام ١٩٢٧ وخلال ذلك أخذ عبد الوهاب من شوقى الإحساس بالكلمة الجميلة ، والشعر الجميل ورصانة الكلام كما تعلّم منه ضرورة أن ينظر إلى المستقبل ويعايش عصره وخلال ذلك بدأت الدوائر الثقافية والصحفية تهتم بفن عبد الوهاب فتذكر "فاطمة اليوسف" فى مذكراتها أنها أقامت حفلة ذات ليلة فى مقر الجريدة فى محاولة للتوفيق بين الشاعر أحمد شوقى من جهة والعقاد والمازنى من جهة أخرى ، وتمت دعوة محمد عبد الوهاب ، وكان لا يزال ناشئا فى محاولة منها لتلطيف الجو بغنائه ، فغنى فى تلك الليلة أغنية من الدور القديم وهى "قده المياس زود وجدى وفى جو السهرة الجميل وتحت تأثير إنشاد عبد الوهاب الساحر ، بزركشته الصوتيه واللحنية تصافى الكبار ، وخرج العقاد مشدوها بما سمعه من طرب لينشر فى البلاغ أبياتا من الشعر يحى بها عبد الوهاب منها

إيه عبد الوهاب أنك شاد يطرب السمع والحجاو الفؤاد

قد سمعناك ليلة فعلمنا كيف بهوى المعذبون السهادا[٣]

وهكذا سطع نجم عبد الوهاب بين المثقفين والصحفيين واقترب من رموز المجتمع الفنى والثقافى[٤] .

وهكذا كان عبد الوهاب صنيعة عصر كامل شارك فى صنعه الكثيرون من سياسيين وشعراء ومستمعين من أهل التذوق . وظل عبد الوهاب ملازما لشوقى يرافقه فى سهراته وجولاته حتى وقت متأخر من الليل كما ظل مشاركا له فى روحاته وغدواته يتغذى أو يتعشى معه فى أحد المطاعم الكبيرة ويشاركه فى أفراحه وأتراحه . وبمناسبة عقد قران "مؤنس" نجل أحمد شوقى شارك عبد الوهاب فى إحياء حفل الزفاف وغنى قصيدة كان قد

---

(١) لمعى المطيعى : نساء ورجال مصر ص ٧٠١ .
(٢) حوار سعد الدين وهبه مع عبد الوهاب ص ٦٣ .
(٣) فاطمة اليوسف : ذكريات ، القاهرة ، كتاب روز اليوسف العدد الأول ١٩٥٣ ص ١٠٨ .
(٤) لمعى المطيعى : نساء ورجال من مصر ص ٧٠٠ .

أعدها شوقى بهذه المناسبة وهى دار البشاير مجلسنا ، وليل زفافك مؤنسنا إن شاء الله تفرح يا عريسنا • وكانت هذه أول قصيدة يكتبها شوقى بالعامية[1] ، وغنى عبد الوهاب وأطرب الحاضرين ، حتى بلغ من سعادة شوقى أن قال له "غرد يا عبد الوهاب ، غرد ياكنارى النادى واصدح يا هزاز الوادى ، وترنم يا شادى البوادى" كما دعا له بطول العمر بقوله أضاف الله أعمارنا إلى عمره[2] .

واستمر عبد الوهاب فى ملازمته لأمير الشعراء حتى جاء يوم ١٤ أكتوبر ١٩٣٢ ذلك اليوم الحزين الذى لم تطرب فيه نفس فقد آذنت الشمس بالغروب ، ورحل أحمد شوقى رحلته الأبدية وفقدت مصر أمير بيانها وشعرها • وتقديرا لما أسداه شوقى لوطنه وأمته وفى ذكرى الأربعين لوفاته رفعت الستار بمسرح الأزبكية عن جوقة كبيرة من الموسيقيين يتوسطهم الموسيقار محمد عبد الوهاب وهو يردد :

حطموا الأقداح	مثلما حطمت حزنا قدحى
ودعوا الأفراح	طوى اليوم بساط الفرح
خلدوا ذكراه فى كل القلوب	خلدوها
مجدوا ذكراه شبانا وشيب	مجدوها
عاش كالزهرة عطرا وندى	وكسا الغنى جلالا خالدا
لن تردوا بعض ما أسداكم	أبدا مهما فعلتم أبدا[3]

عبد الوهاب فى المسرح والسينما

مع أن عبد الوهاب لم يكن موهوبا فى مجال التمثيل فإنه إستطاع بألحانه وبالتجديدات التى أدخلها على الأغنية العربية أن يخوض مجال المسرح والسينما وجاء أول عهد لعبد الوهاب بالمسرح بالصدفة ، فتذكر "روز اليوسف" أنها أثناء عملها بفرقة "عبد الرحمن رشدى" كانت تمثل رواية باسم "الموت المدنى" بالاشتراك مع ممثلة أخرى إسمها جميلة

(١) النهر الخالد • محمد عبد الوهاب فى حوار مع سعد الدين وهبه ص ٦٥ •
(٢) الكشكول فى ٥ يونيو ١٩٢٥ •
(٣) ماهر فهمى : أحمد شوقى ص ٢١٦-٢٢٢ •

"ثم حدث أن مرضت الممثلة جميلة ، وتأزم موقف الفرقة" وحلا للإشكال قرر "عبد الرحمن رشدى" صاحب الفرقة أن يمثل عبد الوهاب دور فتاة صغيرة بدلا من الممثلة المريضة وفعلا "ألبسوا محمد عبد الوهاب – فى أول دور تمثيلى له – فستانا رشيقا .. ووضعوا على رأسه شعرا طويلا مستعارا تنسدل على كتفيه ضفيرتان طويلتان مربوطتان بشرائط لامعه" [١] .

وعلى الرغم من فشل عبد الوهاب وارتباكه على المسرح خلال تأدية دوره فى هذه الرواية ، فقد كرر المحاولة وعمل فى فرقة الريحانى وعلى الكسار وسيد درويش وأتقن فن التمثيل خاصة بعد أن التحق بمعهد ألمانى للموسيقى وتدرب على فن الإلقاء[٢] . فى أعقاب ذلك قام بدور "أنطونيو" أمام منيرة المهدية[٣] فى مسرحية "كليو باتره ومارك أنطونيو[٤] " وبهذا الأوبريت دخل عبد الوهاب المسرح الغنائى من أوسع أبوابه خاصة وأنه وضع نفسه موضع المقارنة أمام سيد درويش الذى قام بوضع ألحان الفصل الأول منه وافتتاحية الفصل الثانى ، فقام عبد الوهاب باستكمال تلحين الفصل الثانى ، وانفرد بتلحين الفصل الثالث . وإلى جانب ذلك فقد اشترك عبد الوهاب مع فاطمة رشدى فى مسرحية شوقى "مصرع كليو باتره " وغنى "بلبل حيران" من كلمات أمير الشعراء .

وهكذا حقق عبد الوهاب على خشبة المسرح نجاحا كبيرا ، ولكنه سرعان ما اختلف مع منيرة المهدية حول الأجر الذى يتقاضاه فى هذا الدور مما جعله يهجر المسرح تماما [٥] .

وفى مجال السينما خاض عبد الوهاب هذه التجربة واشترك فى تمثيل سبعة أفلام كلها من إخراج محمد كريم كما قام بالغناء فى ثلاثة أفلام أخرى دون أن يقوم بالتمثيل فيها وهى "غزل البنات" من إخراج أنور وجدى فى عام ١٩٤٩ حيث قام بغناء "عاشق الروح" وفيلم "الوطن الأكبر" من إخراج عز الدين ذو الفقار فى عام ١٩٦١ ، و"منتهى

---

(١) فاطمة اليوسف : ذكريات ص ٥٢ .
(٢) فاطمة اليوسف : نفسه .
(٣) الأهرام فى ١٩٢٦/١٢/٣ والمسرح فى ١٩٢٦/١٢/١٣ .
(٤) تدور أحداث هذه المسرحية حول حب أنطونيو لملكة مصر البطلمية كليو باتره التى جعلته أسير أنوثتها وجمالها لدرجة أن نسى وطنه روما وزوجته الرومانية أوكتافيا ، وفضل البقاء بجانب كيلوباترا فى مصر حتى قيام معركة أكيتوم البحرية فى ٣١ ق.م .
(٥) سيد إسماعيل : مسيرة المسرح فى مصر جـ١ ص ٣٦٨ .

الفرح" إخراج محمد سالم فى عام ١٩٦٣ حيث قام بغناء "قالوا لى هان الود عليه" وتحتوى الأفلام العشرة على ٦٦ لحنا من ألحان عبد الوهاب منها ٤٥ أغنية يغنيها وحده و ١٢ أغنية مع "نجاة على و"ليلى مراد" و"أسمهان" و"رجاء عبده" و"راقية إبراهيم" و"نور الهدى" و ٩ من ألحانه لكل من "ليلى مراد" و"أسمهان" و"رجاء" و"نور الهدى" و"رئيسه عفيفى" و"محمد أمين" [١] وفى هذه الأفلام إعتبر عبد الوهاب أن الشاشة بالنسبة له بمثابة أسطوانة تسجل بالصوت والصورة ألحانًا تتمشى مع المواقف التمثيلة ، وأغانيَ أدخل عليها الجديد من حيث الطابع والسرعة ، مما يتطلب المران والتجارب والوقت حتى يتم صقلها وإتقانها ٠ ومن الأمثلة على ذلك نذكر أنه فى فيلم "الوردة البيضاء" الذى صور فى باريس ، وسجلت أغانيه فى برلين وعرض فى يوم ٤ ديسمبر ١٩٣٣ إستطاع عبد الوهاب أن يستغنى عن المقدمة الموسيقية للأغنية ، كما أنه حاول أن ينقل لون الغناء السينمائى العالمى إلى الفيلم المصرى ، وأن يستبدل بالتخت الشرقى أوركسترا يضم العديد من العازفين ، وأن تكون أغانى أفلامه بصفة عامة بسيطة فى ألحانها [٢] قصيرة فى غنائها ، وامتدت مرحلة الأفلام السينمائية الغنائية طيلة الثلاثينيات والأربعينيات كان لعبد الوهاب فيها سبعة أفلام أولها فيلم "الوردة البيضاء" الذى أفتتح وعرض فى عام ١٩٣٣ وكان أول فيلم غنائى يقفز بالأفلام الغنائية إلى المقدمة ، كما كان نقطة تحول كبرى فى تاريخ السينما المصرية [٣] وقد قام فيه عبد الوهاب بدور كاتب الحسابات الذى أحب إبنة صاحب الدائرة التى يعمل بها ووقفت التقاليد عقبة فى سبيل زواجهما مما دفعه إلى أن يتجه إلى الغناء حتى يصبح مطربا مشهورا تتاح له إمكانية الزواج منها ٠ ولكن التقاليد وقفت له بالمرصاد مرة أخرى وفى هذا الفيلم غنى عبد الوهاب أغانى فردية من نوع المنلوج الذى يعبر عن موقف نفسى وليس عن موقف سينمائى كأغنيات "ياوردة الحب الصافى" و"سبع سواقى" و"تادانى قلبى" و"ياللى شجاك الأنين" و"جفنه علم الغزل" و"النيل نجاشى" و"ضحيت غرامى" و"يالوعتى ياشقايا" وكلها من نظم أحمد رامى ما عدا أغنية "النيل نجاشى" لشوقى وقصيدة "جفنه علم الغزل" لبشارة الخورى وموال "سبع سواقى" من التراث الشعبى ، وخلال العرض الأول لفيلم الوردة البيضاء كتب عبد الوهاب

(١) سمير فريد : فى الذكرى المئوية لميلاده : عبد الوهاب أفلامه وأغانيه ، دراسة فى وجهات نظر العدد ٢٩ فى يونيو ٢٠٠١ ٠
(٢) رتيبه الحفنى : مرجع سابق ص ٧٠ ٠
(٣) قبل هذا الفيلم كانت الأفلام السينمائية سواء الصامتة أو الناطقة قلما تعرض فى الخارج وتعرض بشكل واسع فى المدن المصرية ، ولكن النجاح الساحق لهذا الفيلم كان بداية لوجود صناعة السينما فى مصر ٠

فى تقديمه للفيلم عن حياته الموسيقية ، ورغبته فى رفع قدراته الفنية وتطوير الموسيقى العربية فقال :

"هويت الموسيقى بروحى واندفعت نحوها بكل ما أملك من عقل وعزم وإحساس حتى لم يكن يقنعنى منها أى قدر أنا له مهما يبلغ كماله فظللت أدرسها من كل ناحية وأتعقبها فى كل طريق فلم أترك درسا علميا إلا وتلقيته ولا تطبيقا عمليا إلا حضرته حتى وثقت من نفسى" ٠

"إنى استطيع باسم أمتى العريقة المجد فى الفنون عامة والموسيقى خاصة أن أكون موسيقيا فتقدمت - ونصب عينى - أن أكسب بهذه الروح الموسيقية - الكبيرة فى أمانيها القوية بإيمانها - إطمئنان ضميرى أمام الله والوطن والأمة ٠ فاعتليت التخت ، ومن يوم أن اعتليت التخت ، ملكتنى أمنية وهبت لها عزمى ، وترقبت لها كل فرصة وجعلتها أملا لى فى الحياة ، لا أبذل جهدا إلا فى سبيلها ، ولا أضحى بعزيز إلا من أجلها وهذه الأمنية تنحصر فى أمرين **الأول** : عدم وجود الوحدة الموسيقية فى الألحان وهذا عيب التزمه رجال الموسيقى إلى عهد غير بعيد ٠ فقد كان التلحين الغنائى يشبه فى تكوينه الشعر العربى ٠ فإذا قرأنا قصيدة وجدنا كل بيت فيها قويا فى ذاته متينا فى تركيبه له معنى خاص يجعله مستقلا عن غيره أما أن يكون اللحن على ألوان متعددة غير متآلفة بحيث يمكننا أن نقنع منه بلون على أنه شئ حسن مستقل كما نعجب بالبيت فى القصيدة ، ونقنع به بحيث يمكننا أن نستشهد به دون غيره لاستقلاله فى أداء المعنى ، فهو ما كرهته للموسيقى المصرية ، لأنه يسهل السبيل إلى اتهامها بالعجز" ٠

الأمر الثانى : إيجاد الأغانى الاجتماعية وقد وفقت فى إيجادها إلى حد ما ٠ فهى ما برحت فى مهدها محتاجه إلى جولات طيبة ٠٠

"لقد استطعت أن أخضع موسيقى التخت للوصف فى قطعتى "البلبل" و"فى الليل" لأمير الشعراء ، واستطيع أن أقطع آخر مرحلة من هذا الطريق كلما قدم لى شعر من هذا النوع ٠

ولكن هذا لا يغنى عن الأغنية الاجتماعية ، ولا يجعلنى أقعد عن إيجادها ، فأزمعت فى يوم ما تأليف فرقة أوبرا مسرحية لتحقيق هذه الفكرة فصادفتنى موانع عديدة لم أستطع تذليلها فتركت الأمر للظروف ٠٠ حتى كان أن أخذت السينما مكانتها فى

القلوب وغمرت جميع العقول ، وذهب الجمهور المصرى فى عشقة لها ، إلى أبعد حد ، فلم أتوان أن ألحق به من هذه الناحية وأن أوجد الموسيقى الاجتماعية على حسابها[١] .

والجدير بالذكر أن السبب الرئيسى لإقبال الناس على "الوردة البيضاء" ومشاهدة عبد الوهاب فى ذروة نجاحه بعد أن رقصت له القلوب استحسانا بموسيقاه التى سمعوها فى "جارة الوادى" وفى "الهوى والشباب" وفى "يا شراعا" لابد أن يأتيهم فى مقطوعاته الغنائية فى هذا الفيلم وبالنسبة للفيلم الثانى "دموع الحب" فقد سار عبد الوهاب فى تلحينه الذى سجلت لقطاته فى باريس وعرض فى عام ١٩٣٥ - على نسق الفيلم الأول فكانت كذلك من نوع المنلوج "ياللى بتنادى أليفك" و"كروان حيران" و"ما أحلى الحبيب" و"سابح فى نور القمر والكون نعسان" و"موال فى البحر" و"سهرت منه الليالى" و"ياما بنيت قصر الأمانى" "صعبت عليك" و"يا أيها الراقدون تحت التراب" وذلك بالإضافة إلى نشيد "تحية العلم"[٢] . وتعتمد قصة هذا الفيلم على رواية "ماجدولين" للمنفلوطى وقد مثل فيه عبد الوهاب دور مدرس الموسيقى الذى يتبادل الحب مع إبنة أحد الأثرياء التى تتزوج من صديقه الذى انتحر بسبب خسارته فى القمار ، وعندما تحاول العودة لعبد الوهاب بعد انتحار زوجها يرفض مما جعلها تنتحر ، ويغنى عبد الوهاب أمام قبرها "أيها الراقدون تحت التراب" وقد أسند عبد الوهاب بطولة هذا الفيلم إلى المطربة نجاة على رغبة منه فى تقديم ثنائيتين غنائيتين بينهما وهما "كل اللى بينا انتهى" و"صعبت عليك" وقد نجح الفيلم بصوت عبد الوهاب ونجاة على معا رغم أن قصته كانت تكرارا للفيلم الأول وقام عبد الوهاب فى الفيلم الثالث "يحيا الحب" الذى صور فى ستوديو مصر وتم إنتاجه فى عام ١٩٣٥ ، وعرض فى عام ١٩٣٧ وشاركته فيه ليلى مراد . وقد أدى عبد الوهاب دور شاب مكافح يعتمد على نفسه فى الحياة يعمل فى أحد البنوك ، ويخفى أنه ابن رجل إقطاعى ثم يقع فى غرام إبنة صاحب البنك ، وهى فتاه شاعرية الروح تهوى الموسيقى والغناء ، ويتبادل معها الحب دون أن تعرف حقيقة أمره ، وينتهى الأمر بالزواج . وفى هذا الفيلم قدم عبد الوهاب عشر أغانى كان منها الكثير من أغنيات المنلوج مثل "أحب عيشة الحرية" و"طول عمرى عايش لوحدى" و"الظلم ده كان ليه" و"يادنيا يا غرامى"

---

(١) سمير فريد : عبد الوهاب أفلامه وأغانيه دراسة ضمن وجهات نظر فى يونيو ٢٠٠١ ص ٥٢-٥٣ .

(٢) لحن محمد الوهاب هذه الأغانى ، وقام رامى بتأليفها عدا "سهرت منه الليالى" التى ألفها حسين شوقى ابن أحمد شوقى .

و"ياوابور قوللى" إلى جانب قصيدة "عندما يأتى المساء" وكلها من أغانى عبد الوهاب بينما غنت ليلى مراد "ياما رق النسيم" و"ياقلبى مالك كده حيران" واشتمل الفيلم أيضا على أغنيتين ثنائيتين هما "طال إنتظارى لوحدى" و"يادى النعيم اللى إنت فيه ياقلبى" كما أن هناك أغنية "ياللى زرعتوا البرتقال للمطربة رئيسة عفيفى وحول هذا الفيلم ذكر عبد الوهاب أن الموسيقى كانت هدفه الأول خاصة أنه نشأ للتجديد الموسيقى أعداء يرون اقتصار الموسيقى المصرية فى دائرتها التقليدية وهدم فكرة الدعوة إلى التجديد لذلك فإن السينما هى الإطار المناسب الذى يبرز صورة التجديد الفنية ٠

وفى الفيلم الرابع "يوم سعيد" الذى أنتج فى عام ١٩٣٩ وظهر فى عام ١٩٤٠ استأثر عبد الوهاب ببطولته الغنائية وقام فيه بدور مطرب شاب من أبناء الطبقة الوسطى أحب بائعة فى محل أسطوانات على حين رغبت سيدة أرستقراطية فى الزواج منه ، ولكنها تفشل ويتم زواج الحبيبين ، وقد اشتمل هذا الفيلم على أغنيات فردية مثل "يا ناسية وعدى" و"ياللى شغلت البال" و"إيه إنكتب لى ياروحى معاك" و"ياورد مين يشترك وللحبيب يهديك "وقصيدة "الصبا والجمال" و"ما حلاها عيشة الفلاح" و"إجرى إجرى ودينى قوام وصلنى ، و"طول عمرى عايش لوحدى" كما شهد هذا الفيلم تجربة رائدة بعرض مشهد من أوبريت "مجنون ليلى" اشترك فى غنائه بدور المجنون مع أسمهان فى دور ليلى وفى الفيلم الخامس "ممنوع الحب" الذى ظهر فى ذروة الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٢ وظهرت فيه معه رجاء عبده فهو مستوحى من معالجة شكسبير لرواية "روميو وجوليت" وقد قدم عبد الوهاب فى هذا الفيلم إحدى عشر أغنية من نوع المنلوج مثل "يا مسافر وحدك" و"ياللى نويت تشغلنى" و"ردى علىّ كلمينى" و"ماكانش على البال تشغل بالى" و"هليت يا ربيع" و"بلاش تبوسنى فى عنيه" بجانب ثنائيات غنائية إشترك فيها مع "رجاء عبده" مثل "أوعى تقول ممنوع الحب" و"آن الأوان وارتاح البال" و"ياللى فت المال والجاه" ٠

وفى تقديم عبد الوهاب لهذا الفيلم إشارة إلى أن يشمل الله العالم برحمته وأن يعيد للحياة بهجتها ، كما يعبر عن موقف رافض للحرب ٠ وفى الفيلم السادس "رصاصة فى القلب" الذى ظهر فى عام ١٩٤٤ عن مسرحية لتوفيق الحكيم كتبها بالعامية عام ١٩٣١ لم تعرض على المسرح قام فيه عبد الوهاب بدور شاب ابن ذوات يعيش عيشه بوهيمية إلى أن عرف الحب الذى قلب حياته رأسا على عقب وقد قدم عبد الوهاب فى هذا الفيلم تسع أغنيات كان معظمها من نوع المنلوج مثل "مشغول بغيرى" و"الميه تروى العطشان"

و"حنانك بى ياربى" و"انسى الدنيا" و"الجلاس" وأحبه مهما أشوف منه" هذا إلى جانب قصيدة الشاعر اللبنانى إيليا أبو ماضى "جئت لا أعلم من أين " إضافه إلى ثنائيات غنائية مع راقية إبراهيم مثل "حكيم عيون" و"حاقولك إيه عن أحوالى" أما الفيلم السابع والأخير من أفلام عبد الوهاب ، فكان "لست ملاكا" الذى ظهر فى عام ١٩٤٦ فقد قام فيه بدور محامى عاطل يبحث عن وظيفة ثم تشاء الظروف أن يشغل منصب مدير فى مصنع النسيج ، وعلى الرغم من شعوره بالحب تجاه ابنة صاحب المصنع ، فإنه لم يجرؤ على طلب يدها ، مما أدى إلى استغلال صديق له للموقف ، فوعده بالحصول على موافقة الفتاة نظير أن يكتب له شيكا بعشرة آلاف جنيه لم يستطع دفعها ، وينتهى الأمر بزواجه من فتاه أخرى كانت تحبه ٠ وقد تقاسم عبد الوهاب بطولة هذا الفيلم مع المطربة نور الهدى وقد اشتمل هذا الفيلم على تسع أغنيات من تلحينه كلها معظمها من نوع المنلوج منها "عمرى ماهنسى يوم الإثنين" و"ما أنا اللى طول عمرى ما حبيت" و"القمح الليلة" ثم "الخطايا" كما اشترك مع نور الهدى فى ثلاث أغنيات ثنائية وهى "شبكونى ونسيونى قوام" و"كنت فين غايب وتايه" و"اضحك وغنى" واثنان لها وحدها هما "مالك محتار" و"ياعيونى" هذا إلى جانب العديد من الألحان التى شارك فيها عبد الوهاب فى عشرات الأفلام الغنائية والاسكتشات الفكاهية التى اشترك فيها نجيب الريحانى بالغناء مع ليلى مراد فى فيلم غزل البنات وغيره ٠ وعلى أى حال فإن معظم ما قدمه عبد الوهاب من ألحان فى هذه الأفلام يدخل فى باب الأغنية الفردية الوصفية مثل المنلوج والقصيدة والأنشودة ، وذلك بجانب ما قدمه من الموسيقى التصويرية ، والخواطر الموسيقية القائمة على الموسيقى الخالصة بعد أن انتقل بالموسيقى العربية من التخت إلى الأوركسترا فأحدث بذلك ثورة فى عالم الموسيقى العربية وفى عالم السينما الغنائية أيضا[١] ٠ ولما كان عبد الوهاب يعرف متى يبدأ فى السينما قد عرف أيضا متى يتوقف قبل أن يبلغ سن الخمسين [٢] ٠

والخلاصة أن أفلام عبد الوهاب فضلا عن كونها من كلاسيكيات السينما المصرية ، فإنها تعد وثائق تسجيلية حية لمجتمع الشرائح العليا فى الثلاثينيات وصدر الأربعينيات ، حيث تظهر فيها موضة ملابس الرجال ، وديكورات المنازل ، والشوارع النظيفة شبه الخالية إلا من السيارات الفخمة البكار والدودج ، والبليموث ، وعربات الحنطور والترام التى خصص للنساء صالون فيها ، ثم سهرات أولاد الذوات الحافلة بالخواجات اليهود ،

---

(١) محمد السيد شوشه : رواد ورائدات السينما المصرية ص ٦٦-٧٢ ٠
(٢) سمير فريد : مقال سابق ص ٥٧ ٠

والريف المصرى والطبيعة الجميلة الحافلة بالخير ، وعزب الباشوات المتكالبين على موائد القمار ، ، ثم حياة الأثرياء وحرصهم على قضاء وقت الصيف على جبال لبنان[1] ٠ هذا إلى جانب المناظر الخاصة بعظمة مصر وجلالها ، سواء فى مدنها الساحرة أو ريفها المرتع بالحب البريء والجمال والنسيم العليل الذى يداعب النفوس ٠

لذلك فإن ترميم هذه الأفلام والمحافظة عليها واجب قومى يتحتم على المسئولين فى وزارتى الثقافة والإعلام الاهتمام بها والعمل على حفظها للإجيال القادمة ٠

عبد الوهاب متربعاً على عرش الطرب :

لقد نجح عبد الوهاب فى تغذية روح المستمع العربى فاكتسحت أغانيه ساحة الغناء فى مصر والعالم العربى ، ونال شهرة لا مثيل لها وتقدم بسرعة على أكبر مطربى عصره أمثال صالح عبد الحى وعبد اللطيف البنا وغيره خاصة وأنه أدخل للموسيقى العربية تجديدات عديدة متأثرة بالموسيقى الغربية التى بدأت الأذن العربية تحس بجمالها وتألف سماعها مما أجلسه على عرش الطرب وجعل منه كروانا حقيقيا ولما بدأ عهد الأغنية السينمائية قدم عبد الوهاب العديد من الأشكال المتنوعة للأغنية والقطع الموسيقية[2] فسلك طريق الأغنية العاطفية أساسا وكانت أغانيه فى أفلامه مثل "كلنا نحب القمر" ولما أنت ناوى تغيب على طول" و"فى الليل لما خلى" وبقية الروائع ، ولم تقتصر أغانى عبد الوهاب على ذلك بل عبر بعضها عن أجواء تاريخية كما فى "كليوباترا" و"الجندول" و"الكرنك" ولم تقتصر جهود عبد الوهاب الفنية على ذلك بل تطرقت إلى الأغانى الوطنية التى قدمها فى فترة الخمسينيات والستينيات وشارك بها فى أفراح بلاده وأتراحها فقدم العديد من الأغانى الوطنية منها "ذكريات" "قولوا لمصر" و"الوطن الأكبر[3]" و"صوت الجماهير" وبعد هزيمة ١٩٦٧ قدم مجموعة رائعة من الأغنيات الرافضة للهزيمة والمطالبة بتحرير الأرض مثل "حى على الفلاح" و"سواعد من بلادى" "حرية أراضينا" ٠ ولبث عبد الوهاب وحده متربعا على عرش الطرب ، وعملاقا فى شارع الفن ، ورائدا لحركة التجديد فى الأغنية المصرية واستمر يقدم ألحانه فى وصلات غنائية دورية ، مفضلا ألا يكون ذلك فى حفلات بالمسارح كما تفعل أم كلثوم بل يكون من

---

(١) رتيبه الحفنى : مرجع سابق ص ٧٠-٧٧ ٠

(٢) عصام كامل : مرجع سابق ص ٤٣ ٠

(٣) شارك فى هذا النشيد عدد كبير من المطربين والمطربات منهم عبد الحليم حافظ ونجاة الصغيرة ، وصباح ، وشادية ، وفايدة كامل ، ووردة الجزائرية ٠

إستوديوهات الإذاعة حتى يتحرر من قيود طلبات الجمهور ، وطلبا للحد الأقصى من الإتقان [1] واستمر عبد الوهاب لا يزاحمه أحد لأن جميع الذين جاءوا بعده كانوا أقل منه فى ناحيتى الصوت والتلحين ، كما أنه كان المنهل الذى ارتوى منه كل ملحن ومطرب ، وظل رائدا لمدرسة انتشرت فى كل أرجاء مصر فعندما ظهر عبد الغنى السيد كان صوتا فقط ، لم يكن يملك موهبة التلحين ، وعندما ظهر فريد الأطرش استطاع بفضل موهبته فى التلحين منافسة عبد الوهاب لفترة وكان صراعهما صراع يلعب فيه الفن الموسيقى الدور الأول ولكن ذلك لم يستمر طويلا لتحول نشاط فريد إلى الأفلام الغنائية ومع ذلك فقد ربحت الحياة الموسيقية من ورائهما أعمالا فنية رائعة .

أما عبد الحليم حافظ الذى كان صاحب أحب الأصوات إلى الجماهير وإلى عبد الوهاب نفسه فيمكن اعتباره امتدادا لحركة عبد الوهاب التجديدية من حيث أسلوب الغناء والتلحين وما فيهما من بساطة وخليفته فى الشهرة ، وليس فى موهبه الصوت والتلحين[2] .

ما بين أم كلثوم وعبد الوهاب

لقاء القمة بين أم كلثوم وعبد الوهاب ما هو أسباب تأخره طوال هذه السنين ، وكيف تعرف عبد الوهاب على أم كلثوم وهل ما كان بينهما منافسة أم جفاء وما هو الوسيط الذى جمع بينهما أخيرا ؟ كل هذه أسئلة طرحها البعض واختلفوا فى تفسيرها وفيما يلى نعرض لذلك .

لقد روجت صحافة الثلاثينيات والأربعينيات لما بين أم كلثوم وعبد الوهاب من تنافس وصل إلى حد القطيعة وانقسم الرأى العام فى الإشادة بفن كل منهما لدرجة أنه بعد أن نشرت إحدى المجلات فى عام ١٩٣٣ أن عبد الوهاب سيقوم بتمثيل فيلم "الوردة البيضاء" ترددت شائعة تقول إن أم كلثوم ستمثل فيلما اسمه "الوردة الحمراء"

---

(١) ترجع حقيقة ذلك الأمر إلى أن عبد الوهاب صدم فى إحدى حفلاته الحية برفض الجمهور الاستماع إلى أغنيته الجندول مفضلا سماع المواويل وأغنيات الطرب مثل "مين عذبك" و"لما أنت ناوى" فاطلق صيحته المعروفه أريد أن أشد الجمهور لا أن يشدنى واستبدل الحفلات المسرحية بالتسجيلات الإذاعية .
للتفاصيل أنظر : إلياس سحاب مقال سبق ذكره ص ٥٦ .

(٢) النجمى : مرجع سابق ص ١٠٩-١١٠ .

أم كلثوم

محمد عبد الوهاب

ولما قامت أم كلثوم بالتمثيل فى فيلم "وداد" دبت روح الغيرة فى عبد الوهاب ، فأسند بطولة فيلمه الثانى "دموع الحب" إلى أشهر مطربة بعدها حينذاك وهى "نجاة على" ونتيجة لذلك حدثت محاولات عديدة تهدف للجمع بينهما فى عمل مشترك فبذل طلعت حرب جهودا من أجل ذلك ولكنه لم يوفق واستمر التنافس على عرش الغناء بينهما ، وكل منهما يحاول أن يجذب إليه جمهور الآخر حتى نجح الرئيس عبد الناصر فى تحقيق اللقاء بينهما فى لحن واحد ، ففى الاحتفال السنوى بثورة يوليو عام ١٩٦٣ أقام نادى الضباط حفلا ساهراً حضره الرئيس عبد الناصر وكانت أم كلثوم وعبد الوهاب من المدعوّين فى الحفل وفى أثناء تقديمهما التهانى بالعيد للرئيس طلب عبد الناصر منهما تقديم عمل فنى مشترك، وكانت "إنت عمرى" التى غنتها أم كلثوم فى ١٢ فبراير ١٩٦٤ بداية هذا العمل الذى حقق نجاحا جماهيريا كاسحا ، وكانت مزيجا براقا من الجمل العذبة والإيقاعات الراقصة فى مقدمة موسيقية طويلة استغرقت ربع ساعة إستمع إليها أكثر من مئة مليون عربى عبر الأثير[١] . وقبل أن تبدأ أم كلثوم فى الغناء ، وحرصا من عبد الوهاب على نجاح هذه التجربة وقف خلف الستار يقرأ القرآن الكريم وهو يجرى البروفات الأخيرة خاصة على مقدمته الموسيقية ، كما شاركته أم كلثوم فى البروفات الأخيرة .

(١) رتيبه الحفنى : مرجع سابق ص ٩٢-٩٨ .

وعندما بدأت أم كلثوم فى الغناء وقف عبد الوهاب وهو يرتجف خشية الفشل يستمع لقيثارة السماء تشدو بألحانه لهذه الأغنية الرفيعة المعانى التى وضع كلماتها الشاعر أحمد شفيق كامل ، وظل عبد الوهاب يسمع من خلف الكواليس وقلبه يخفق وكانت يداه لا تكفان عن الحركة ، وشفتاه ترددان آيات من القرآن الكريم حتى صفق الناس لمقدمته الموسيقية وطالبوا بإعادتها أكثر من مرة والناس تصفق ، ثم بدأت أم كلثوم تغنى والناس تتمايل طربا ٠

رجعونى عينيك لأيامى اللى راحوا علمونى أندم على الماضى وجراحه
اللى شفته قبل ما تشوفك عينيه عمر ضايع يحسبوه إزاى عليه
انت عمرى اللى ابتدا بنورك صباحه

قد إيه من عمرى راح وعدا يا حبيبى قد إيه من عمرى راح
ولا شاف القلب قبلك فرحة واحدة ولا داق فى الدنيا غير طعم الجراح
ابتديت دلوقت بس أحب عمرى ابتديت دلوقت بس أخاف للعمر يجرى
كل فرحة إشتقها من قبلك خيالي إلتقاها من نور عنيك قلبى وفكرى
يا حياة قلبى يا أغلى من حياتى ليه ما قابلنيش هواك يا حبيبى بدرى
واللى شفته قبل ما تشوفك عنيه عمر ضايع يحسبوه إزاى عليه
انت عمرى اللى ابتدا بنورك صباحه

الليالى الحلوة والشوق والمحبة من زمان والقلب شايلهم عشانك
دوق معايا الحب دوق حبه بحبه من حنان قلبى اللى طال شوقه لحنانك
هات عنيك تسرح فى دنيتهم عنيةً هات إديك ترتاح للمستهم إديَّه
يا حبيبى تعالى وكفايه اللى فاتنا هو فاتنا يا حبيب الروح شويه
واللى شفته قبل ما تشوفك عنيه عمر ضايع يحسبوه إزاى عليه
إنت عمرى اللى ابتدا بنورك صباحه

يـــا أغلـــى مـــن أيـــامى ... يـــا أحلـــى مـــن أحلامـــى

خـــدنى بحنانـــك خـــدنى ... عـــن الوجـــود وابعـــدنى

بعيـــد بعيـــد أنـــا وانـــت ... بعيـــد بعيـــد وحـــدينا

ع الحـــب تصـــحى أيامنـــا ... علـــى الشـــوق تنـــام ليالينـــا

ســـامحت بيـــك أيـــامى ... صـــالحت بيـــك الـــزمن

نســـيت بيـــك آلامـــى ... ونســـيت معـــاك الشـــجن

رجعونى عنيك لأيامى اللـى راحـوا ... علمونى أندم علـى الماضـى وجراحـه

اللى شفته قبل مـا تشـوفك عنيـه ... عمـر ضـايع يحسـبوه إزاى عليـه

انـــت عمـــرى اللـــى ابتـــدا بنـــورك صـــباحه

لقد بكى عبد الوهاب وهو يسمع الناس تستزيد أم كلثوم حتى أعادت المذهب ست مرات وهم يصفقون ويهللون بطريقة غريبة من الإعجاب ، ولما اطمأن عبد الوهاب لهذا النجاح عاد إلى بيته ليستمع إلى بقية الأغنية فيه ، وبعد أن انتهت الأغنية أرادت أم كلثوم أن يكون عبد الوهاب معها أثناء تحية الجمهور ولكنه اعتذر بلباقة بحجة أنه يخاف كثيرا من مواجهة الجماهير .

وهكذا كان هذا اللقاء التاريخى خطوة كبيرة إلى الأمام ، لحن عبد الوهاب كلماتـه حرفا حرفا ، فعندما شدت أم كلثوم الليالى الحلوة ، أو دوق معايا الحب يشعر الإنسان أن هناك دعوة للحب ، وفى لحن يا حبيبى تعالى وكفاية اللى فاتنا يحس المستمع إلى أن هناك تضرع وابتهال إلى الجالس فى معبد الحب ، وهكذا كانت كل كلمة من الأغنيـة تشـعر من يسمعها أن الذى لحنها تفحص حروفها حرفا حرفا وعاش فيها أياما وليـالى قبـل أن تخرج إلى الناس . وهكذا ظلت الأغنية خالدة ترددها الأجيال المتعاقبـة دون أن يخبـو لمعانها [1] ثم تبع ذلك أعمال مشتركة بينهما وهى :إنت الحب" و"أمل حياتى" و"فكرونى"،

(1) مصطفى الديوانى : قصة حياتى ، مرجع سابق ص ٢٦١-٢٦٨ .

و"هذه ليلتى" و"دارت الأيام" و"غداً ألقاك" و"ليلة حب" و"على باب مصر" و"أصبح عندى الآن بندقية" . لقد نجح عبد الوهاب بتفانينه وتقاليعه الموسيقية وأن يكون مختلفا مع أم كلثوم عمن سبقوه فوضع ألحانه فى إطار مبهر استطاع به تقريب أم كلثوم من أذواق الشباب ، مما أوجد جمهورا من الجيل الجديد الذى إزدادت حماسته لأم كلثوم ، كما أن الحان عبد الوهاب استطاعت أن تقدم شيئا جديدا لهذا الصرح الشامخ[1] .

لقد نجح عبد الوهاب فى أن يفيد من أم كلثوم وتأثيرها على الجمهور ، كما استفادت أم كلثوم من عبقرية عبد الوهاب الموسيقية خاصة وأن كلا منهما أحدث إنقلابا كبيرا إنسابت فيه ألحان عبد الوهاب من شفتى أم كلثوم وانطلق صوت أم كلثوم من تجليات عبد الوهاب .

والسؤال كيف تواصل اللقاء بين عبد الوهاب وأم كلثوم وما هى أحلام كل منهما التى لم تتحقق ، ولماذا لم تتحقق ؟ وهل تحول عبد الوهاب إلى كلثومى أم أصبحت أم كلثوم تعتنق موسيقى عبد الوهاب ؟ ومن منهم أثر فى الآخر وكيف استطاع عبد الوهاب أن يقنع أم كلثوم بالجديد فى استخدام الآلات الموسيقية ؟

كل هذه التساؤلات أجاب عليها عبد الوهاب فى حواره مع سعد الدين وهبه والذى ذكر فيه أنه فكر مع أم كلثوم فى أن يشتركا معا فى اختيار قصائد غنائية لشعراء عرب من كافة البلاد العربية ، بحيث يكون لكل بلد عربى أغنية من نظم أحد شعرائه وتم تنفيذ الفكرة بجورج جرداق فى "هذه ليلتى" ، بالهادى آدم من السودان فى "أغدا ألقاك" وكانا فى الطريق إلى اختيار قصيدة للشاعر التونسى أبو القاسم الشابى . كما فكرا فى تلحين وغناء "مجنون ليلى" ذلك الكنز العظيم الذى تركه شوقى ولكن القدر لم يمهل أم كلثوم المشاركة فى ذلك ، فقد وافتها المنية قبل تحقيق ما إتفقا عليه[2] .

---

(1) سهير عبد الفتاح : مرجع سابق ص ١٢٤ .
(2) انظر النهر الخالد ص ٢٠٩ – ٢١٠ .

وبالنسبة لأثر ألحان عبد الوهاب على غناء أم كلثوم فيتضح أن أم كلثوم كانت قبل عبد الوهاب تغنى للخاصة ، فلما لحن لها عبد الوهاب أخرجها عن سلوكها الفنى الكلاسيكى فاستمع إليها العامة وكان لموسيقاه ذات الايقاعات الراقصة المتحركة وإدخاله الآلات الكهربائية الحديثة مثل "الأورج" و"الجيتار" أكبر الأثر فى استماع العامة لها ، وكانت هذه بداية النقلة فى أم كلثوم من القديم إلى الجديد ، فقد غيرت فى طريقة التأدية لتتواءم مع اللحن • وفى الحقيقة أن أم كلثوم كانت تستطيع التلاوم مع الظروف المتغيرة ، ومع الموجة الحديثة أيضا فقد قربت أم كلثوم الملحنين الشبان لإحساسها بالحاجة إلى دم جديد تجدد به فنها ورحب بذلك الملحنون الذين كانوا فى حاجة إلى صوتها المعجز ، بالتلحين لها وقد بدأت هذه المرحلة بلحن لبليغ حمدى "حب أيه" عام ١٩٥٩ وانتهت سنة ١٩٧٣ "بحكم علينا الهوى" لبليغ حمدى أيضا ، كما أنها قربت محمد الموجى منها وطالبته بالتلحين لها وقدمت له كلمات أغنية "اوقدوا الشموع" لتلحينها ولما نال اللحن إعجابها طالبته بأن يلحن "حانة الأقدار" و"محلاك يا مصرى" كما كلفته بأن يلحن لها "للصبر حدود" وإلى جانب ذلك قام سيد مكاوى بتلحين أغنية "يامسهرنى" لها •

إتهامات لفن عبد الوهاب

واجه عبد الوهاب فى حياته الفنية العديد من الاتهامات بسرقة ألحان سيد درويش منها ما ذُكر من أن "أغنية مين عذبك" تحتوى على جملتين موسيقيتين نقلا من ألحان سيد درويش كما إقتبس ألحان بعض زملائه أمثال زكريا أحمد وكمال الطويل ورؤف ذهنى ومحمد الموجى[١] والمعلم عبده الدمرداش[٢] كما أتهم عبد الوهاب بسرقة ألحانه من الموسيقى الغربية ، وأن روائعه الموسيقية مقتبسه ومأخوذة من خارج الحدود لفنانين كبار من أوربا وغيرها فأغنية أهون عليك مقتبسة من أوبرا عايدة للموسيقار الإيطالى فردى و"النيل نجاشى" من نشيد "بحارة الفولجا" و"أيها الراقدون" مأخوذة ألحانها من بداية السمفونية الثامنة (الناقصة) لبتهوفن وأغنية "يادنيا يا غرامى" لحن فولكلورى روسى ، وأحبه مهما اشوف منه من تانجو إسبانيول ، ويالللى نويت تشغلنى من أوبرا ريجوليتو

(١) انظر على سبيل المثال روز اليوسف العدد ٣٢٨٣ فى ١٣ مايو ١٩٩١ .

(٢) ترددت شائعة أن أحد مواويل عبده الدمرداش صاحب مقهى بالدراسة كان يتردد عليها عبد الوهاب قام عبد الوهاب بنسبة ألحانها إلى نفسه • ولما سئل عبد الوهاب عن ذلك لم ينكر بل تحدث عن عبده الدمرداش بإعجاب كبير : أنظر خيرى شلبى : مرجع سابق ص٤٤-٤٥ .

"لفردى" و"أهواك واتمنى لو أنساك لحن شعبى ألمانى ٠٠ إلى غير ذلك[١] ٠ ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل إتهم عبد الوهاب باقتباس المقدمة الموسيقية لأغنية "إنت عمرى" من لحنين الأول للموسيقى السوفيتى "أميروف" وهو الذى جعله الجزء الأساسى من المقدمة واللحن الثانى أخذه عبد الوهاب من الموسيقى الإسبانى ، أرثورو بافان" ومع ذلك فإن عبد الوهاب لم يهتز ، وكان رده على من اتهموه بالسرقة بقوله "إن حياتنا العامة والخاصة قد تأثرت بأساليب العزف فملابسنا ونظمنا ومعظم تقاليدنا الآن ، تسير على الأسلوب الغربى الذى يسيطر على حياتنا ومظاهر نشاطنا الاجتماعى والفنى ، ولا ضرر من هذا ، فالتأثر بالاتجاهات الأجنبية ومسايرة موكب النهضة العالمية شئ تحتمه سنة التطور ٠ وهكذا وجدنا اتجاها عاما جديدا فسرنا معه ٠٠ ولبينا نداءه وأدخلنا أساليب جديدة فى موسيقانا ٠ واقتبسنا من الغرب لنطعم إنتاجنا الموسيقى ولكن ليس معنى هذا الاقتباس أن نحطم روحنا وجوهرنا ونتخلى عن طابعنا الشرقى ٠ علينا أن ندخل فى الموسيقى الشرقية آلات جديدة نأخذها عن الغرب ٠ للتعاون على أداء أنغام وإبرازها بشكل أوفى ٠٠ وعلينا أن ندخل فى ألحاننا أنغاما جديدة ، وأن نلجأ إلى التوزيع الموسيقى ، ولكن علينا أن نحتفظ بروحنا الشرقية ٠ وأن نترجم بالموسيقى عن عواطفنا الأصيلة ، فتكون مخلوقا شرقيا صحيحا وإن بدت فى ثياب غربية"[٢] .

ومعنى ذلك أن عبد الوهاب لم ينكر الاقتباس من الموسيقى الغربية ولم ينكر تأثره بها بل اعتبره ضرورة واجبه موضحا بأنه إذا كان قد تسرب إلى فنه شىء من الغرب فهو غالبا فن شرقى تسرب إلى الوجدان الغربى من فنون أسلافنا إذن فهى بضاعتنا ردت إلينا ، فهو يعطى للناس ما يحس به ، وإحساسه يحتم عليه معايشة عصره مع عدم تنكره لمصريته كما أكد أن هذا الكلام سيتكفل المستقبل بإثباته ٠

وبالنسبة لاتهام عبد الوهاب باقتباس ألحانه من أعمال زملائه فمما أشيع فى الوسط الفنى أن الملحن "رءوف ذهنى" [٣] هو الذى لحن لعبد الوهاب ألحان فيلم "غزل البنات" التى غنتها ليلى مراد ، وأنه لحن أغنية "فكرونى" التى شدت بها أم كلثوم ونسب اللحن لعبد الوهاب وأن المطرب "محمد أمين" اشترك مع عبد الوهاب فى تلحين الجندول و"الكرنك" ، وأن الوسط الفنى شهد مشادة بين عبد الوهاب والمطرب "حسين جنيد" لأن

(١) رتيبة الحفنى : محمد عبد الوهاب حياته وفنه ص ١١٥ ٠
(٢) رتيبة الحفنى : مرجع سابق ص ١١٦ ٠
(٣) كانت العلاقات بين عبد الوهاب وأسرة رءوف ذهنى وطيدة لدرجة أنه تزوج "إقبال نصار" ابنة عم رءوف ذهنى ٠

الثانى نسب إلى الأول أنه نقل جزءا كبيرا من موسيقاه فى القطعة الموسيقية "أنا وحبيبى[1]" .

وإلى جانب ذلك حقر البعض من شأن عبد الوهاب واتهمه بتحطيم التراث رغبة منه فى الثراء[2] .

تقييم دور عبد الوهاب فى تطوير الموسيقى والطرب :

من الصعب إنكار أن عبد الوهاب كان يتمتع بمواهب كبيرة ، إستطاع من خلالها أن يضيف لفن الطرب العربى إبداعات ساعدت تجربة الغناء الحديث ، ورغم الاتهامات الموجهة إليه ومعاول الهدم التى حاولت النيل منه فقد ظل بفنه وعبقريته علامة مضيئة فى عقول ونفوس عشاق فنه على طول البلاد وعرضها ، وذهبت إلى طى النسيان كل الأقاويل حول اقتباساته من هنا أو هناك ، وصعد عبد الوهاب على السلم الموسيقى واستطاع أن يشقلب الدنيا كما تنبأ له سيد درويش فعبد الوهاب يحسب له أنه درس الموسيقى الشرقية والغربية على أسس سليمة ، وأنه لم يهجر الموسيقى الشرقية بل سعى للسير بها بخطى عقلانية لتطعيمها بالموسيقى الغربية ، وكانت لديه القدرة على ذلك . ففى نادى الموسيقى كان يقدم التراث وفى الحفلات الخاصة كان يغنى أغانيه الجديدة ، التى أضاف فيها للموسيقى المصرية بعض الآلات الأوربية دون أن يقضى على النغمة الشرقية الصميمة وبمعنى آخر فإن ما فعله عبد الوهاب هو أنه فتح نوافذ الموسيقى الشرقية على الموسيقى العالمية ومزج كلا منهما بالآخر . وكانت عملية المزج هذه تحتاج إلى صانع ماهر مثل الجواهرجى الذى لا يخطئ ميزانه فى عملية خلط المعادن النفيسة حتى لا يحدث ضياع للقديم سعيا وراء الجديد . وهذا ما فعله عبد الوهاب فهو خالد بأغانيه تجده فيها كافة طير غرد يتنقل من غصن إلى غصن فيحول كل معانى الحياة إلى أحاسيس رقيقة تسمو بالنفس إلى الآفاق . إن دور عبد الوهاب فى تكريس أشكال متطورة للأغنية المصرية وعطاءه الخصب الفياض ، والخروج بالموسيقى العربية إلى أسماع البشر بعد تطويرها وانتظامها فى ركب الموسيقى العالمية ولفت الأنظار إلى التراث الشرقى ، وإدخاله أشكالا جديدة وآلات جديدة لم تكن مستخدمة فى الأغنية العربية من قبل يعد إضافة هامة إلى التراث الموسيقى الغنائى .

---

(1) لمعى المطيعى : نساء ورجال من مصر ص ٦٩٧ .

(2) محمد أبو الخضر منسى : الموسيقى الشرقية ص ١٥ وما بعدها .

ومما سبق يتضح أن عبد الوهاب استطاع أن يرفع الراية الجديدة فى الغناء ، التى التف المستمعون حولها وتمكن من تغيير وجه الطرب فى مصر منذ منتصف العشرينيات حتى وقتنا هذا ، ووضع الأسس الصحيحة المتطورة لفن الغناء العربى التى ستبقى تراثا للأجيال فى مجال الإبداع الذى لا ينقطع على مر الزمان ٠

ومما يحمد لعبد الوهاب أنه فى سبيل احتفاظ اسمه بجاذبيته ولمعانه لم يعتمد على ماضيه الفنى أوصيته المدعم الأركان بل اعتبر نجاحه دافعا لمكابدة الشوك حتى تدمى منه أجزاء جسمه مهما بلغ إتقانه الفنى مداه ٠ ونتيجة لجهود عبد الوهاب فى خدمة الموسيقى العربية ، وتمكنه من الجمع بين حلاوة الصوت وحسن الطرب ، وإتقان الضرب بالعود والتلحين بنفسه فقد نال فى حياته تكريما لم ينله فنان مثله فحصل على أوسمه ونياشين عديدة كان أبرزها قيام أكاديمية الفنون بمنحه الدكتوراة الفخرية ، ونيله رتبه اللواء الشرفية ووسام الاستحقاق ، وجائزة الجدارة ، والأسطوانة البلاتينية[1] ٠

لقد انعكس عشق عبد الوهاب لفنه على حبه للحياة فكان أبرز ملامحه هو قدرته على قهر الزمن ، ونفى تجاعيد السنين ٠ فقد أحب الحياة وحرص على صحته قدر طاقته فكان يأكل بانتظام ويمارس رياضة المشى ، وينام مبكرا ويستيقظ مبكرا ، وظل طوال حياته يحنو على جسده باتقاء كل ما يمكن أن يسبب له المرض إلى حد الوسوسة لدرجة أنه – كما ذكر بنفسه – كان يغسل الصابونة قبل استعمالها بصابونه أخرى ٠

وفي الثالث من مايو ١٩٩١ رحل عبد الوهاب إلى مثواه الأخير ، وشيع جثمانه فى جنازة عسكرية مهيبة تقديرا لما قدمه للفن من جليل الخدمات ٠

---

(١) ولمزيد من التفاصيل انظر رتيبه الحفنى : مرجع سابق ص ١٠٤-١٠٥ ٠